المحاضرة الحادية عشر: المؤسسة العسكرية البرية

تأسيس الجيش الانكشاري في الجزائر:

عرفت الجزائر تنظيما عسكريا شبيها بالتنظيم المعمول به في الدولة العثمانية حيث وصلت أول فرقة للانكشارية إلى الجزائر عام ١٥٢٠ عندما أرسل السلطان العثماني سليم الأول إلى الجزائر قوة عسكرية مكونة من ألفين (٢٠٠٠) جندي من الجيش الانكشاري[١] المدرب على القتال وأربعة آلاف (٤٠٠٠) شخص من المتطوعين الأتراك من الرعية. و منحت عدة امتيازات لتشجيع الراغبين في الالتحاق بالجزائر بغية الانخراط في صفوف الجيش الانكشاري.[٢]

وقد قدم هذا الجيش مع الوفد الجزائري الذي حمل رسالة الجزائريين المعبرة عن رغبتهم الملحة في الالتحاق بالباب العالي.[٣] وذلك من أجل تدعيم قوة خير الدين الذي خلف أخاه عروج سنة ١٥١٨ بعد استشهاده في تلمسان. لسد العجز في إدارة شؤون الجزائر حيث كانت تنقصه الذخيرة الحربية والكفاءة العسكرية خاصة في ظل وجود الأعداء داخليا وخارجيا الذين يتربصون بالمنطقة وبالتالي فالدعم العسكري جاء من أجل الدفاع وحماية المدينة من الحملات الإسبانية.[٤]

إن لجوء خير الدين إلى الاستنجاد بالسلطان العثماني سليم الأول كان الهدف منه هو ربط مصير الجزائر بمركز الخلافة العثمانية وتثبيت حكمه وحماية الجزائر من التحرشات الأجنبية علما بأن قوة خير الدين العسكرية

---

[1]– Haedo.D : Histoire des rois d'Alger, Op cit.p50.

[٢]– عزيز سامح ألتر، المرجع السابق، ص٧٢.

[٣]– عائشة غطاس، المرجع السابق، ص ٦٩.

[٤]– جون ب وولف: الجزائر وأوروبا، ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٦، ص٣٢-٣٣.

كانت تقدر بحوالي خمسة آلاف (٥٠٠٠) جندي.[٥]

ومنذ ذلك الوقت أصبح للجزائر جيش انكشاري خاص عرف باسم أوجاق الجزائر بجميع هياكله ومؤسساته وكان استقراره (تمركزه) بمدينة الجزائر فبنيت له ثكنات عسكرية لإيوائه ونظمت قوانينه وحددت أجوره، واعطيت لهم امتيازات وحقوق مادية وأدبية كالتي يتمتع بها الجيش الانكشاري في اسطنبول.[٦]

عمليةالتجنيد: إن الظروف التي كانت تعيشها الجزائر هي التي دفعت إلى الاهتمام بعملية جمع المجندين من المقاطعات العثمانية سواء في آسيا أو أوروبا[٧] ونظرا لحاجة الدولة العثمانية للجنود وتناقص دور عملية الدوشرمة في تغطية الجانب العسكري وحاجياته أعطى السلطان العثماني لإيالة الجزائر حرية تنظيم عمليات التجنيد في أقاليم الدولة العثمانية وبصفة خاصة في القسطنطينية[٨]حيث أوكل السلطان العثماني سليمان القانوني لخير الدين بربروس حق عملية التجنيد فيها، وكان ذلك ابتداءً من سنة ١٥٢٥ ومنذ ذلك التاريخ أصبح للجزائر وكلاء خاصة منها (أزمير- قبرص- الإسكندرية – طرابلس الشرق والغرب – مرسيليا – جبل طارق وبلغاريا...) يقيم فيها موظفون يشرفون على جمع المتطوعين وإرسالهم إلى الجزائر وكانوا يعرفون بالدائيات يرأسهم باش دائي كما كان لها موكل بميناء أزمير بالأناضول يقوم بتسجيل المتطوعين ويقدم لهم مغريات مادية للانضمام إلى لعمل العسكري في إيالة الجزائر أو دار الجهاد منها جمع الثروات الطائلة والوصول إلى مناصب عليا في الدولة.[٩]

---

[٥]- جميلة معاشي، المرجع السابق، ص١٢.

[٦]- حنيفي هلايلي: المرجع السابق، ص١٤.

[٧]- عائشة غطاس، المرجع السابق، ص٧١.

[٨]- وليام شالر، المصدر السابق، ص٥٢.

[٩]- عائشة غطاس،المرجع السابق، ص١٢

وكان التجنيد يتم بطلب من حكام الجزائر وبترخيص من الباب العالي ويستطيع السلطان إيقاف التجنيد إذا أراد وذلك بالضغط على الولاة في الجزائر ويدخل ذلك ضمن السياسة الخارجية للأوجاق ولقد استغرقت مدة التجنيد قرابة سنة أو أكثر.

إن معظم انكشارية الجزائر ينتمون إلى أصول مسلمة فأغلبيتهم من فقراء الأناضول والشبان المغامرين من أجل الحصول على الثروة والجاه وبعض المتطوعين للجهاد ويعد العلوج المسيحيون الذين اعتنقوا الإسلام بغرض الدخول في نظام الانكشارية والفوز بامتيازاته من بين العناصر التي انضمت الى انكشارية الجزائر وأصبحوا أتراكا بالوظيفة وذلك عكس انكشارية الأناضول الذين تكونوا عن طريق نظام الدوشرمة.[١٠]

تعتبر عملية تجنيد المتطوعين من أهم المميزات التي ربطت إيالة الجزائر بالباب العالي طيلة العهد العثماني، وقد كانت الجزائر دائما في أمس الحاجة لعملية التجنيد بهدف تدعيم قوتها العسكرية التي كانت تتصدى للاعتداءات الخارجية المتكررة والقوى الداخلية المعارضة.[١١]وظل باب التجنيد مفتوحا حتى أواخر الحكم العثماني بالجزائر وقد وصلت سفينة إلى حلق الوادي بتونس عام ١٨٢٦ كان على متنها ٨٤ متطوعا جديدا متوجهين إلى الجزائر[١٢]

تكلفة التجنيد (النفقة): في بداية الحكم العثماني للجزائر كانت نفقة التجنيد تتم تحت إشراف السلطان العثماني حيث يتم النقل المجاني للمجندين إلى الجزائر التي أصبحت إيالة عثمانية وبعد استقلال الجزائر عن الباب العالي

---

[١٠]- جميلة معاشي:،المرجع السابق، ص١٣

[١١]- حنيفي هلايلي: المرجع السابق، ص١٥.

[١٢]- حنيفي هلايلي: العلاقات الجزائرية الأوروبية ونهاية الإيالة (١٨١٥-١٨٣٠)، دار الهدى، الجزائر، ٢٠٠٧، ص٧٠

عام ١٦٧١ تحملت الجزائر جميع نفقات عملية التجنيد التي كانت مكلفة جدا خاصة التي تتم على الأراضي العثمانية. هذا بالإضافة إلى هدية السلطان التي كانت ترسل كل ثلاث سنوات قدرت بحوالي ٥٠٠ ألف دولار بالإضافة إلى الهدايا الموجهة إلى الموظفين السامين بالأستانة أو رجال البحر أو حكام الأقاليم الذين كلفوا بتسهيل عملية التجنيد حيث كانت تدفع لهم هدايا باهضة ونقودا حتى تسهل لهم المهمة مثل (معاطف- مسدسات- سبحات من المرجان أو العنبر... وغيرها من الهدايا الثمينة. لقد كانت الجزائر تتكفل بدفع حق التجنيد ومستلزماته من بداية نصب خيمة التجنيد لجمع المتطوعين ويطلق عليها اسم أوطاق حيث يتوافد عليها الراغبون في التجنيد لتسجيل أسمائهم في القائمة ثم يتم نقلهم إلى الجزائر بواسطة سفن أوروبية.[١٣]

وكانت السفن التي تنقل المجندين إلى الجزائر تعود محملة بالأموال النقدية المخصصة لعملية التجنيد، حيث وصلت حوالي ٧ سفن إلى الجزائر حملت حوالي ٩٣٣ جندي، علما بأن عملية التجنيد كانت تكلف خزينة الإيالة مبالغ باهضة تصرف في تأجير الأرض التي تقام عليها خيمة التجنيد والنفقة على الجنود المقيمين في الخان، ودفع مرتبات الدائيات المشرفين على عملية التجنيد.[١٤] علما بأن التجنيد في بداية الأمر كان يقتصر على جمع الشباب الشجاع والمستقيمين أخلاقيا ثم أصبح يجمع المشردين والمجرمين والفارين من العدالة، وقد وصل أيضا العديد من المتطوعين غير رسميين والمغامرين الذين وصلوا إلى الجزائر بطرق مختلفة مثل الاندساس في السفن التجارية وسفن

---

[١٣]- خليفة حماش: "تجنيد المتطوعين للجيش الجزائري في أقاليم الدولة العثمانية في أواخر العهد العثماني"، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، الجزائر، عدد٠٢، مارس ٢٠٠٣، ص٣١.

[١٤]- نفسه، ص٣٢.

الحجيج يدفعهم في ذلك الطمع في الحصول على الثروة والمجد أو الهروب من العدالة.

أما فيما يخص لباس المتطوعين الجدد فإن الجندي كان يرتدي لباسا تركيا استقدمه معه من بلاد الأناضول أو من مدن أخرى تابعة للدولة العثمانية، ويتمثل في سروال طويل يهبط حتى أسفل القدمين وهو عريض وذو ألوان زاهية وكانوا يضعون قميصا ذا أكمام طويلة وعلى رؤوسهم قبعة مصنوعة من الصوف ويلبسون نعالا من الجلد أسفلها مصفح بأربعة صفائح من حديد.[١٥]

وبعد وصول الجندي الإنكشاري وتسجيله في دفتر الأجور كانت الحكومة تتحمل أعباء نفقاته من الملبس والمأكل وتلتزم الدولة بتقديم له بدلة عسكرية تتكون من قميص خشن وصدرية وعمامة خضراء وسروال من القطن ومعطف من نوع الملف خشن (قفطان) وشاشية (قبعة) وحزام أحمر وزوج من الأحذية وغطاء من الصوف. غير أنه بمرور الوقت أدخلت عدة تعديلات على لباس الجيش خاصة خلال القرن ١٨م حيث تأثر الجندي الإنكشاري باللباس الجزائري فارتدى البرنوس البربري الذي عوض القفطان وأصبح لباس رسمي للجنود خاصة أثناء قيامهم بالحملات في فصل الشتاء.[١٦]

والجدير بالذكر أن اللباس العسكري كان يوزع مجانا على الجنود مما كلف خزينة الدولة الجزائرية أموالا باهضة.

نقل المجندين إلى الجزائر: بعد جمع المجندين الجدد يتم تسجيلهم في قوائم (اسمهم- عمرهم- بلدهم) يتم نقلهم إلى الجزائر في سفن خاصة أو في سفن أجنبية وعند وصولهم إلى الجزائر يسجلون من قبل الباش كاتب في

---

[١٥]- حنيفي هلايلي: بنية الجيش، المرجع السابق، ص١٤٩

[١٦]- نفسه، ص١٥٠

سجلات الانكشارية حيث يتم ضبط اسم الجندي وموطنه الأصلي وأوصافه واسم الثكنة التي يعين فيها ورقم الأوجاق المنتسب إليه[١٧] إضافة إلى اسم الأودة باش الذي يخضع لأوامره والأجرة التي يستلمها يسلم البايلك لكل انكشاري جديد بدلة متكونة من قميص مصنوع من القماش الخشن وصدرية وفوطة خضراء اللون وسروال وشاشية من صنع محلي وشال أحمر اللون يستعمله كحزام وحذاء وغطاء مصنوع من الصوف كما يسلم له سلاح يتضمن بندقية وسيف ومسدس.[١٨]

إقامة الانكشارية: يعيش الجنود غير المتزوجين في الثكنات طول الخدمة العسكرية وفي بعض القلاع والحصون والأبراج وتسمى الثكنات بدار الانكشارية أو بيولداس أوده لرى أو يكيجري أو ده لرى.

وفي حالة زواجه يفقد الانكشاري العديد من الامتيازات خاصة الإعفاءات من الضرائب والتسهيلات المتعلقة بالتخفيضات في أثمان المواد الغذائية ويصبحون مضطرين لتحمل نفقات عائلاتهم اعتمادا على رواتبهم الضعيفة.[١٩]

عادة ما تأخذ الثكنة اسم منشئها أو المكان الذي تقع فيه وقد بلغ عدد الثكنات في الجزائر ثمانية[٢٠] شكلها الهندسي هو طابع عثماني مكون من طابقين أرضي وعلوي تتوسط الثكنة العديد من الأسبلة المائية يستعملها الجنود للنظافة والوضوء إضافة إلى مسجد وإمام للصلاة، وامتهن المسيحيون داخل

---

[١٧]– وليام سبنسر: الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتقديم عبد القادر زبادية، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٩٨٠، ص٥٦.

[١٨]– عائشة غطاس،المرجع السابق، ص٧٦.

[١٩]– حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص٢٨.

[٢٠]– عائشة غطاس،المرجع السابق، ص٧٦.

الثكنات مهمة الغسيل والتنظيف والكنس.[٢١] أما الجنود المقيمين داخل الثكنات فتفرض عليهم قوانين صارمة مثل التحاق الجندي بالثكنة قبل الغروب (بسبب الاضطرابات) لأن معظم المؤامرات والدسائس ضد الحكام وثورات الجند كانت تحاك داخل الثكنات فمثلا ثكنة باب عزون أغلب جنودها من فئة العزاب الأكثر اضطرابا وإثارة للفوضى.[٢٢]

أبرز الثكنات العسكرية في الجزائر:

١- **ثكنة المكررين:** حيث وجود مسجد قرب الثكنة بناه أحد الدايات وكان الجنود يرتلون القرآن الكريم في المواسم الدينية (شهر رمضان) ومنها جاء اسم المكررين (تكرار القرآن) توجد بها ٢٧ غرفة يسكنها ٨٩٩ رجلا يشكلون ٤٨ أوجاقا.

٢- **ثكنة باب عزون:** أهم ثكنة بمدينة الجزائر لكبر مساحتها بعد الاحتلال الفرنسي تحولت إلى مستشفى عسكري ثم مدرسة ثم مكتبة ثم متحف المدينة إلى أن أصبحت ثانوية بنيت في عهد البيلرباي حسن باشا عام ١٥٤٨ سميت أيضا بالكبيرة، أغلب جنودها أصبحوا فيما بعد من كبار موظفي الإيالة. رممت في العديد من الأحيان. تتكون من ٢٨ غرفة يسكنها ١٦٦١ رجلا يشكلون ٦٣ أوجاقا.[٢٣]

٣- **ثكنةصالح باشا وعلي باشا:** يطلق عليها اسم ثكنة الخراطين لوجودهما في حي تكثر فيه دكاكين الخراطة أو باب السخرية لالتصاق البنايتين ببعضهما البعض بنيت عام ١٦٠٠م بعد الاحتلال الفرنسي تحولت الثكنة إلى

---

[٢١]- حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص٢٨

[٢٢]- نفسه، ص٢٩.

[٢٣]- نفسه، ص٣١

مستشفى ثم إلى خزينة عمومية ثم مركز بريدي.

٤- **ثكنة أوسطى موسى:** تسميتها جاءت نسبة إلى المهندس المعماري موسى الأندلسي الذي كلف بإنجاز شبكة مياه الحامة وكان مقيما في هذه الثكنة سميت أيضا باب الجزيرة لقربها من باب البحر بنيت عام ١٦٧٥.

٥- **ثكنة بالي:** سميت بثكنة القناصل لأنها مواجهة لشارع القناصل سماها الأهالي باسم ثكنة الدروج لأن الوصول إليها كان يتم بواسطة صعود الدروج سميت أيضا بدار الإنجشارية.

٦- **ثكنة إسكي (القديمة) وثكنة يني الجديدة:** القديمة تقع في الأعلى ويطلق عليها اسم الفوقانية والجديدة تقع أسفل الثكنة القديمة وتسمى السفلانية.[٢٤]

تنقسم الانكشارية في الجزائر إلى فرق ووحدات صغيرة تسمى أوجاق بلغ عددها حوالي ٤٢٤ وجقا تضم عدد غير محدد من الجنود، تحمل كل واحدة منها رقم يعرف به.

الرتب العسكرية: فهي مرتبة كالآتي مع المهام المسندة إليها:

١- **يولداش:** الجندي الجديد وهو أدنى رتبة في الجيش الانكشاري.

٢- **أصكييولداش:** الجندي القديم يتحصل على هذه الرتبة بعد مرور ٣ سنوات من الخدمة.

٣- **وكيل الحرج:** وهو المقتصد يهتم بتوفير المؤونة للجنود وكافة المستلزمات الضرورية من الخيام أو الثكنات ويشرف على نقل المتاع والخيام.

٤- **وكيل الحرج آلتي:** وهو وكيل حرج ثانوي.

---

[٢٤]- حنيفي هلايلي، المرجع السابق ، ص٣٠-٣٥.

٥- **الأودباشي:** رئيس الفرقة (تتكون من١٠ إلى ١٥ جنديا) أو الوجاق يسهر على حفظ النظام العام والانضباط داخل الفرقة.

٦- **أشجي أو عشجي:** وهو الطباخ ويعمل تحت أوامر وكيل الحرج.[٢٥]

٧- **عشجي باش أو رئيس الطباخين** رتبة تعادل رتبة بلوك باشي.

٨- **البلوكباشي:** مسؤول عن الأودة في الأوجاق وفي أواخر العهد العثماني أصبحوا يشكلون جهازا مستقلا ويتولون بالتناوب قيادة (النوبة) وهي فرقة الجيش الانكشاري التي تقوم بحراسة الحصون والقلاع والأبراج ويسمى الانكشاري الذي يقوم بالحراسة فيها بالنوباتجي وينقسم الجيش في النوبة إلى صفرات وكل صفرة تحتوي على مجموعة من الجنود من ١١ إلى ١٦ جندي.

٩- **الأياباشي:** ضابط سامي في الإيالة يختار منهم لمنصب الكاهية كما يعين منهم السفراء والمبعوثين إلى الخارج ويتولى بعضهم مراقبة السفن عند مغادرتها الميناء وهم من مستشاري الديوان ويرافقون الداي في كل المناسبات.

١٠-**الكاهية:** يسهر على حفظ النظام والأمن العام في المدينة ويترأس اجتماع الضباط.

١١- **أغا الانكشارية:** وهو القائد الأعلى للجيش، يعين في منصبه لمدة شهرين لذا يعرف بأغا الهلالين، لذلك كان يتداول على هذا المنصب ستة أغواتسنويا ويمارس الأغا دور مستشار الداي وعند تقاعده يمكنه ممارسة القضاء.[٢٦]

أجور الجيش: يتلقى الجيش الانكشاري أجرة تسلم له كل شهرين في القصر، تبدأ الأجرة ضئيلة ثم تزيد كلما صار الانكشاري قديما في سلكه وتزيد

---

[٢٥]- عائشة غطاس،المرجع السابق، ص٧٩.

[٢٦]- حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص٤٠.

الأجرة حين يعين داي جديد أو يكون هناك انتصار كبير، تدوم مدة تسليم الأجور ٤٠ يوما حتى يتحصل عليها الجميع تدفع الأجور بحضور الداي والأغا والكاهيةوالبلوكباشية والخوجات والخزناجي، كما توفر للجيش الانكشاري الخبز مجانا (٤ خبزات يوميا)، أما الجند المتزوج الذي يسكن خارج الثكنات في منازل خاصة فإنه يحرم من الخبز ويشطب اسمه من قائمة اليولداش الذين يتسلمون الخبز من البايلك، ويسلم له صاع من القمح وإذا طلق اليولداش زوجته أو توفيت وأراد الاستفادة ثانية من خبز البايلك فعليه أن يثبت ذلك بنفسه إلى الكاهية حيث يتم تثبيت اسمه من جديد في قائمة المستفيدين من خبز البايلك كما يقدم البايلك مساعدات أخرى كتخفيض في أسعار المواد الاستهلاكية مثل اللحم حيث يباع لهم بثلث السعر العادي، كما يتلقى الجيش علاوات في الأعياد الدينية وعند تنصيب داي جديد أو اعتلاء سلطان جديد أو انتصار في حرب.[٢٧]

طريقة معاقبة الجيش: إذا ارتكب الانكشاري خطأ أثناء أداء واجبه، فإنه يعزل من منصبه وتؤجل معاقبته إلى غاية عودة المحلة إلى الجزائر أين تجرى تحريات في قضيته ثم يبث الحكم النهائي.

أما جند المحلة فإذا ارتكب جندي المحلة خطأ أثناء اداء واجبه فإنه يمتثل أمام أغا المحلة وهو الذي يقرر في أمر معاقبته أم لا، أما إذا هرب المتهم وغاب لمدة ٣ أيام فيتم شطب اسمه من دفتر المحلة ويمنع عليه الانخراط ثانية في أوجاق الانكشارية، وإن عاد الجندي الفار بعد مرور فترة من الزمن فيتم جلده حتى الموت، وان تسببت المحلة بأكملها في إحداث فوضى وشغب فإن

---

[٢٧]- عائشة غطاس،المرجع السابق، ص٨٦.

كل أفرادها يعاقبون بمنعهم من دخول المدينة وتعتبر محلتهم مفقودة.[٢٨]

مهام الجيش الانكشاري:

I- مهام الجيش النظامي: قام الجيش الانكشاري بدور عظيم في الدفاع عن الجزائر وفي صد الغارات الخارجية والمحافظة على أمنها واستقرارها ولقد تعددت مهامه يمكن ذكر ذلك في العناصر الآتية:

١- **المحلات:** هي جمع لكلمة محلة وهي عبارة عن فرقة عسكرية تجوب أرياف البايلك من أجل الحفاظ على الأمن والاستقرار ومراقبة القبائل ومعاقبة العصاة أو المتهربين من دفع الضريبة كما أوكلت لها عملية جباية الضرائب من الأهالي، حيث كانت المحلة تخرج سنويا لجمعها من البايلكات الثلاثة كل سنة في نهاية فصل الربيع من الجزائر، وتختلف مدة مهام المحلة من بايلك لآخر حسب ما ذكره أحمد الشريف الزهار حيث يقول: "فمحلة الغرب تخرج في الربيع وتقيم أربعة شهور ومحلة التيطري تخرج في الصيف وتقيم ثلاثة شهور ومحلة الشرق تخرج في اليوم الأول من الصيف وتقيم ستة أشهر"[٢٩] وتتكون المحلة من عناصر مختلفة على رأسها آغا المحلة وخليفته أو كاهيته ومن أوصباشي وأوده باشي وخوجة مسؤولا عن طلبات المحلة إضافة إلى شاوشينوأساشي باشي أي الطباخ ومعاونيه ووكيل الخرج ومجموعة من اليولداش وبعد انتهاء المحلة من مهامها تعود إلى مدينة الجزائر ليلتحق أفرادها بالثكنات العسكرية.

---

[٢٨]-نفسه ، ص٨٧.

[٢٩]- أحمد الشريف الزهار: مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار ذخائر المغرب العربي، تحقيق، أحمد توفيق المدني، ط٢، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٩٨٠، ص٣٦

٢- **الحاميات:** هي مجموعة من القوات المتمركزة على حدود الايالة مهمتها حماية المدينة أو حصن أو قلعة ومعنى ذلك توفير الأمن والاستقرار داخل الجزائر من خلال القضاء على التمردات والثورات الداخلية (ثورات القرن ١٩م) إضافة إلى حماية الجزائر من الأطماع الخارجية وفيها يلتزم الجنود بالبقاء من أجل الحراسة والدوام، وقد وفرت الدولة لهم احتياجاتهم الخاصة مثل المواد الغذائية ومواد النظافة ... من أجل القيام بمهامها على أحسن وجه.

٣- **الصبايحية:** هي فرقة عسكرية تسمى أيضا بالخيالة أو الفرسان يتواجدون في دار السلطان وفي البايلكات[٣٠] يطلق على قائد الفرقة اسم أغا الصبايحية[٣١] أو خوجة الخيل أو أغا العرب مهمتهم الأساسية هي السهر على حماية مدينة الجزائر، كما يشرفون على حماية البايات في عواصم البايلكات والحفاظ على سلامتهم، منحتهم الدولة بعض الأراضي الزراعية للاستقرار فيها والاشراف عليها.

٤- **المدفعية:** أسست فرقة المدفعية "الطوبجية" في القرن ١٥ وتعد أهم الفرق العسكرية في الجزائر تعتمد على الآلة (السلاح الناري) في الحروب لإطلاق مقذوفات كبيرة الحجم وذلك من أجل حماية السواحل الجزائرية من الهجمات الأوروبية، وهي تتكون من صفين الأول يشمل مستخدمي المدفع والثاني يتمثل في الجنود المختصون لصناعة قذائف المدفع، عدد جنودها يتغير من وقت لآخر وليس ثابت وتتوزع فرق المدفعية على الأبراج والحصون والقلاع والموانئ والسفن الحربية.

II- الجيش غير نظامي: إن الظروف المتوترة التي كانت تعيشها الجزائر

---

[٣٠]- صالح عباد، المرجع السابق، ص٣١٨

[٣١]- علي خلاصي: الجيش الجزائري في العصر الحديث، دار الحضارة، ٢٠٠٧، ص١٤٣

دفع بالدولة إلى تشكيل جيش احتياطي يتميز بالكفاءة الحربية وكان هدفه هو دعم الجيش النظامي في مهامه ومن أنواعه ما يلي:

أ- **قبائل المخزن:** شكلت قبائل المخزن جهازا عسكريا في الجزائر عرفت بعدة تسميات منها القوى المحلية أو المتعاملة، الزمالة، قبائل الصحاري، والعرازلة والعبيد والعثامنة[٣٢] ...الخ وقد برزت هذه القبائل في شكل تجمعات سكانية ذات صبغة فلاحية وعسكرية وإدارية[٣٣]، فضلت التعاون مع السلطة الحاكمة مقابل احتفاظها بالأرض وبالتالي مثلت همزة وصل بين السكان والحكام[٣٤] حيث كانت تلبي طلب السلطة في الدفاع عن حدود الإيالة والمساهمة في الحفاظ على الأمن الداخلي مقابل حصولها على عدة امتيازات مادية ومعنوية منها إعفاؤها من دفع الضرائب والاكتفاء بدفع واجب الزكاة والعشور واعفائهم من مختلف أعمال السخرة المعروفة على قبائل الرعية (خدمة أرض البايلك) كما منح فرسان المخزن الخيول والسلاح ودفعت مرتبات مؤقتة كما منحت لهم إقطاعات زراعية في حالة مشاركتهم في الحملات العسكرية[٣٥]، وبالتالي تكون قبائل المخزن قد لعبت دورا لا يستهان به في الأرياف خاصة في البايلكات الثلاثة فانتشرت في المناطق السهلية وحول الحصون والأبراج وبالقرب من الأسواق الأسبوعية وساهمت اقتصاديا من خلال توفير الانتاج الزراعي والحيواني.[٣٦] وقد أدت دورا كبيرا في الحفاظ على أمن الإيالة، وشاركت في المحلات العسكرية ضد القبائل الثائرة ومراقبتها وتأمين الطرقات وجمع

---

[٣٢]- حنيفي هلايلي: بنية الجيش، المرجع السابق، ص٨٥

[٣٣]- ناصر الدين سعيدوني: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الحديث، دار البصائر، الجزائر، ٢٠٠٩، ص٢٠٧

[٣٤]- حنيفي هلايلي: بنية الجيش، المرجع السابق، ص٨٥

[٣٥]- نفسه، ص٨٩

[٣٦]- أرزقي شويتام: نهاية الحكم العثماني، المرجع السابق، ص١٧١

الضرائب ... لتكون بذلك قد دعمت السلطة وقت الحروب وزودتها بالفرسان.

ب- فرقة زواوة: هي عبارة عن فرقة عسكرية محلية مكونة من أفراد قبيلة زواوة، تأسست زمن حسن باشا ابن خير الدين من أجل الحفاظ على أمن واستقرار المدينة. يكمن دورها في تقديم الدعم للجيش أوقات الحرب أو عند خروجه لإخماد ثورات القبائل الثائرة[٣٧] أو لعملية جباية الضرائب، كما يتم استعمالهم في الحاميات لحراسة الأبراج كما هو الحال في ثكنات مستغانم بسكرة قسنطينة عنابة أما في مدينة الجزائر فإن ما يقارب ثلث جنود الحاميات كانوا من الزواوة قائدهم أغا خاضع لأغا الإنكشارية.[٣٨] وقد تحصلوا على امتيازات عديدة مقابل خدمتهم الجليلة كحصولهم على قطع أرض زراعية وإعفائهم من دفع الضرائب. ولا يتقاضون راتبا إلا أثناء الخدمة.[٣٩]

وبهذا تكون القبائل المحلية المخزن أو الزواوة قد اعتمدت عليهم الدولة في تقديم الدعم للجيش الإنكشاري في إخماد الثورات المحلية وتقديم مساعدات أثناء موسم جباية الضرائب من الأهالي.

ج- الكراغلة[٤٠]: يعود ظهور الكراغلة كفئة اجتماعية إلى بداية العهد العثماني عقب سماح خير الدين بربروس للإنكشارية بالزواج بعدما كان رافضا لهذه الفكرة، وقد نتج عن زواج بعض عناصر الجيش الإنكشاري من نساء جزائريات أطفالا عرفوا بالكراغلة أي أبناء الإنكشارية[٤١]، ظهرت لأول مرة في

---

[٣٧]- عائشة غطاس، المرجع السابق، ص٨٤

[٣٨]- صالح عباد، المرجع السابق، ص٣١٩

[٣٩]- نفسه.

[٤٠]- الكراغلة جمع لكلمة كرغلي وهو مصطلح تركي مركب من كلمتين قول تعني عبد وأوغل تعني ابن ومعناها أبناء العبيد (عبيد السلطان العثماني)

[٤١]- حنيفي هلايلي: بنية الجيش، المرجع السابق، ص٧٩

المدن التي تمركزت بها الحاميات التركية كالجزائر، تلمسان، مستغانم، مازونة[٤٢] وتعتبر ثاني أكبر الفئات السكانية بعد الأتراك، فأصبحوا يشكلون غالبية السكان حيث وصل عددهم نهاية القرن ١٨م في مدينة الجزائر حوالي ٦٠٠٠ نسمة[٤٣] وكان أول كرغلي بالجزائر هو حسن بن خير الدين بربروس من ابنة أحمد بن القاضي زعيم مملكة كوكو البربرية، فرغم اشتراك الكراغلة مع الأتراك في الأصل إلا أنه تم إقصائهم من المناصب الحساسة وظلوا مهمشين من طرف الحكام العثمانيين كما حرموا من التمتع بالامتيازات التي كان يتمتع بها الأتراك، وذلك خوفا من سيطرتهم على شؤون البلاد، خاصة وأن الكراغلة بحكم قرابتهم من الأهالي وارتباطهم بالبلاد كانوا قادرين على تكوين حلف وطني يهدد امتيازات الفئة التركية[٤٤] لذلك كان الحكام يتوخون الحذر منهم ويقفون أمام توليهم مناصب سامية في الجيش أو الإدارة. كما منعوهم من الانخراط في الديوان وهو الأمر الذي تذمر منه الكراغلة ودفعهم إلى تنظيم انقلابا عسكريا عام ١٦٣٠ بهدف الاستيلاء على الحكم، غير أن محاولتهم باءت بالفشل الذريع وقد أدى ذلك الفشل إلى قتل عدد كبير منهم ونفي بعضهم خارج مدينة الجزائر. وبقي الكراغلة يترقبون فرصة الثأر من خصومهم حتى فترة حكم حسين باشا، فأعلنوا الثورة ضده نتيجة عجزه عن دفع مرتبات الجند فتسللوا إلى المدينة وحاولوا محاصرة القلعة مما تسبب في انفجار مخزن البارود الموجود بالقلعة التي كانت في أيدي الثوار فوضع ذلك حدا للثورة وقتل عدد معتبر منهم فأجبروا على الانسحاب .

---

[٤٢]- ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص٩٤

[٤٣]- ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي، المرجع السابق، ص٤٣

[٤٤]- ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي، المرجع السابق ، ص٤٤

بقي الكراغلة في عزلة تامة مجردين من حقوقهم وامتيازاتهم حتى جاءت فترة حكم الأغوات خاصة فترة حكم شعبان أغا (١٦٦١-١٦٦٥) الذي انتهج سياسة الترضية لهذه الفئة وأصدر قرار ينص على ضرورة معاملة الكراغلة كبقية العناصر التركية وسمح لهم بحق الانتساب للأوجاق، غير أن هذا الانتساب لم يصل إلى حد المشاركة الفعالة في الجيش والإدارة أو الوصول إلى السلطة كمسؤولين[٤٥] كما تم إصدار وثيقة عهد الأمان تم فيها استيعاب فئة الكراغلة.

لقد كان لسياسة الترضية والتقارب التي انتهجها الأتراك أثر سيء في العلاقات القائمة بين الكراغلة والأهالي، إذ أصبح الجزائري ينظر إلى الكرغلي نظرة شبيهة بنظرته للسادة الأتراك الحاكمين.[٤٦]

كما سمح لهم الحاج شعبان داي للكراغلة عام ١٦٩٣ بالتجنيد والتسجيل ضمن قوات الإنكشارية وذلك لحاجتها إلى أعداد إضافية من الجنود، ولتأخر وصول مجندين جدد من الأناضول وجاء ذلك أيضا بعد الوباء الكبير الذي شهدته الجزائر ما بين (١٦٤٨-١٦٥٠) الذي أودي بحياة عدد كبير من السكان ومن ضمنهم أعضاء من الفرق الإنكشارية.[٤٧] لقد كان الاعتماد على فئة الكراغلة أكثر من ضرورة خاصة على مستوى البايلكات الثلاثة باستثناء دار السلطان التي كان عدد الأتراك بها كافيا لتغطية معظم الحاجيات،[٤٨] لذلك تولت هذه الفئة مناصب سامية بعد تحسن العلاقة بينها وبين السلطة الحاكمة

---

[٤٥]- حنيفي هلايلي: بنية الجيش، المرجع السابق، ص٨١

[٤٦]- ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي، المرجع السابق، ص٤٤

[٤٧]- حنيفي هلايلي: بنية الجيش، المرجع السابق، ص٨١

[٤٨]- نفسه، ص٨٢

حيث أسندت لهم بعض الوظائف على مستوى الإدارة المركزية والمحلية وقد احتلوا منصب الباي لذلك نجد تولي الكرغلي مصطفى العمر (١٦٣٦-١٦٤٨) بايلك الغرب، والكرغلي محمد الذباح (١٦٠٨-١٦٧١) بايلكتيطري، وأحمد باي بايلك الشرق (١٨٢٦-١٨٣٧).[٤٩]

أسلحة الجيش الإنكشاري: استعمل الجيش الإنكشاري العديد من الأسلحة والمعدات الحربية أيام الحرب، حيث كانت الإيالة توفر للجندي مجموعة من الأسلحة يقتطع ثمنها من أجرته تتمثل في بندقية وسيف ومسدس ونصف رطل من الرصاص يذيبه ويقولبه ليصنع منه الكرات والقليل من البارود[٥٠]، وكان الجندي يتحمل مسؤولية نظافة سلاحه بنفسه. وكانت السيوف والمسدسات مزينة ومزخرفة ومن أهم الأسلحة نذكر:

أ- **الأسلحة النارية:** تشمل البنادق التي كانت تصنع محليا من طرف الأسر الأندلسية والتركية وحتى الموريسكية منذ القرن ١٦م في مناطق مختلفة من الجزائر كقلعة بني عباس، وقد لعبت هذه الفئة من المجتمع دورا نشيطا كما تميزوا بمهارة عالية في استعمال السلاح الناري، كما تفننوا في صنع الأسلحة وتحضير البارود هذا بالإضافة إلى وجود أسلحة بيضاء تمثلت في السيوف والخناجر وعادة ما تكون مطلية بالفضة ومزركشة.

ب- المدافع: عانت إيالة الجزائر في بداية تأسيسها من نقص فادح في الأسلحة الثقيلة خاصة المدافع، لكن مع مرور الوقت وأمام كثرة وتعدد الحملات الصليبية بدأ التفكير في صنع المدافع محليا. وقد طلب حكام الجزائر من الباب العالي مد يد العون في مجال تزويد الإيالة بالمدافع وكان ذلك زمن السلطان

---

[٤٩]- ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي، المرجع السابق، ص٤٤

[٥٠]- حنيفي هلايلي: بنية الجيش، المرجع السابق، ص٤٢

سليم الثالث حيث قبل طلب الداي حسين (١٧٩١-١٧٩٨) في منح الجزائر مدافع وأسلحة وذخيرة حربية.[٥١]

فقدان الجيش الإنكشاري لأهميته ومكانته

المؤسسة العسكرية البرية في الجزائر تعد من أهم المؤسسات التي لقيت اهتمام العثمانيين في الجزائر وعرفت تطورا كبيرا، قام الجيش الإنكشاري منذ البدايات الأولى من الحكم العثماني بدور عظيم حيث أظهر شجاعته في القتال وفي الدفاع عن الإيالة والمحافظة على الاستقرار والأمن الداخلي للجزائر من خلال حماية الجزائر من الأطماع الخارجية خاصة تلك الهجمات التي شنتها الدول الأوروبية كما ساهم في القضاء على التمردات والثورات الداخلية، وساهم في انعاش الخزينة من خلال عملية جمع الضرائب بالقوة العسكرية. لكن مع مرور الوقت تحول الجيش الإنكشاري من عنصر إصلاح ودفاع وبناء إلى عنصر فساد وفوضى واضطراب، فانحرف الجنود عن مهمتهم الأساسية وأصبحوا يولون اهتماما متزايدا للجانب المادي كما اهتموا بالسياسة فكثر تسلطهم على الناس وأصبحوا يتصرفون في أمور البلاد كما يحلوا لهم، فكان كلما حاول الداي المساس بمصالحهم وامتيازاتهم أو تأخر عن دفع مرتباتهم كان مصيره العزل أو الاغتيال. كما تورط الجيش في حياكة المؤامرات على الحكام والإحاطة بهم واغتيالهم، فكان الجيش يولي ويعزل من يشاء فانحرف عن مهامه الأصلي وكان سببا في انتشار الفوضى واللاستقرار في الجزائر. كما أصيب الجهاز العسكري بالخلل منذ أن أصبحت المناصب تعطى لغير مستحقيها من أصحاب الكفاءات.

---

[٥١]- نفسه، ص٤٣

أما بخصوص مسألة التجنيد فرغم أن إيالة الجزائر أولت اهتماما لهذه القضية إلا أنها لم تساهم في عملية بناء جيش نظامي قوي يعتمد عليه في الأزمات، بل ساهمت في تكوين فرق من المرتزقة همها الوحيد جمع الأموال[٥٢]، هذا بالإضافة إلى أن الكثير من الجنود قد قلّ اتصالهم بثكناتهم وأصبح الكثير منهم لا يذهب إليها إلا لقبض المرتب وأخذ أكثرهم يمتهن مهن مختلفة، وقد فر العديد من أفراد الجنود من ثكناتهم إلى الخارج ووضح ذلك الفرمان الصادر عن السلطان محمود الثاني في أكتوبر ١٨٢٦ إلى حاكم تونس حسين باي (١٨٢٤-١٨٣٥) يطلب منه منع الجنود الهاربين من إيالة الجزائر من الإقامة أو عبور أراضي تونس ويجب تسليمهم فورا إلى وكيل الجزائر بتونس المكلف بالتجنيد.[٥٣]

وقد تراجعت عملية التجنيد خلال العقد الثالث من القرن ١٩م ومن أسباب ذلك:

١- الحرب اليونانية العثمانية التي حولت البحر الأبيض المتوسط إلى ساحة قتال دائم بين اليونانيين والعثمانيين وقد انعكست آثار هذه الحرب على الاتصالات القائمة بين الجزائر والدولة العثمانية لاسيما مدينة أزمير التي كانت المصدر الرئيسي لتجنيد المتطوعين.[٥٤]

٢- ساهمت الأمراض الفتاكة في تناقص عدد أفراد الجيش خاصة انتشار المجاعة والأوبئة بمدينة الجزائر وغيرها من مدن الإيالة أدى إلى هلاك عدد

---

[٥٢]- حنيفي هلايلي: العلاقات الجزائرية الأوروبية نهاية الإيالة، المرجع السابق، ص٦١

[٥٣]- حنيفي هلايلي: العلاقات الجزائرية الأوروبية نهاية الإيالة، المرجع السابق، ص٦١.

٥٤- حنيفي هلايلي: بنية الجيش، المرجع السابق، ص٦٥

كبير من السكان على رأسهم أفراد الجند.[٥٥]

وبهذا نقول أن فرقة الإنكشارية قد لعبت دورا كبيرا وأساسيا في تاريخ الإيالة الجزائرية بعد أن كانت الركيزة الأساسية لنظام الحكم وأداة لحفظ الأمن والاستقرار لكنها شكلت في الفترات الأخيرة من عمر الإيالة أحد العوامل البارزة في تدهور الجهاز العسكري من خلال انتشار الفوضى والاضطراب خاصة الصراع بين فئة الإنكشارية وطائفة رياس البحر حول نظام الحكم.

---

[٥٥]- نفسه.